

سلسلة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

عمره القضاء



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب الثامن عشر

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) : 978-9682-4-39960

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة : يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية : فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

القصباء عمارة

منهاج العالمية
تأليف
لينا الكيلاني
International Curricula

عمره القضاء

بعد انتصار المسلمين في خيبر وضمن مسيرة تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، شرعت الجيوش الإسلامية في تنفيذ حملات عسكرية ناجحة استهدفت إخضاع قبائل البدو في نجد. ومع اقتراب نهاية السنة السابعة من الهجرة، أمر رسول الله ﷺ أصحابه، خصوصاً من شهدوا صلح الحديبية، بالاستعداد لأداء عمرة القضاء، فارتفعت مشاعر الفرح والبهجة في القلوب، إذ طال انتظار ذلك اليوم الذي يعود فيه المسلمون إلى بيت الله الحرام.

خرجت الجموع من المدينة المنورة، وارتفع عدد الحجيج إلى ألفي مسلم، يلبسون ثياب الإحرام البيضاء، وجوههم مشرقة بالحنين والاشتياق. المهاجرون تلهفوا لرؤية أهلهم وأوطانهم التي غادروها مضطرين، والأنصار تطلعوا بشوق إلى مهد النبوة ومنبع الوحي الأول.

لَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِنَظَرِهِ القياديَّة، نَظَرًا إِلَى كُثْرَةِ الْحَجَّاجِ وَتَوْجِّسِ مَنْ نَوَايَا قَرِيشًا، خَشْيَةً أَنْ تَسْعَى لِلإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ. فَقَرَرَ ﷺ أَخْذَ الْحِيطَةِ، وَأَمْرَأَنَّ تُحْمَلُ الْأَسْلَحَةَ وَتُتَرَكُ فِي عَهْدَةِ مَئِيَّةِ فَارِسٍ، عَلَى بَعْدِ ثَمَانِيَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ. وَامْتَشَلَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوْامِرِ قَائِدِهِمُ الْكَرِيمِ، حَامِلِيِنَ السَّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا فَقَطَ.

حِينَ رَأَتْ قَرِيشٌ زَحْفَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ يَتَرَكُونَ السَّلاحَ خَارِجَ مَكَّةَ، دَبَّ الذَّعْرُ فِي نَفْوَسِهِمْ. وَتَمَلَّكُهُمُ الشَّكُّ: «أَهِيَّ خَدْعَةٌ؟ هَلْ يَنْوِي مُحَمَّدٌ ﷺ مَهَاجِمَةَ مَكَّةَ؟» فَأَرْسَلُوا رَسُولًا يُحْقِقُ فِي الْأَمْرِ. اسْتَفَسَرُوا عَنْ سَبَبِ حَمْلِ السَّلاحِ وَذِكْرِهِمْ بِشُروطِ الْمَعَاهِدَةِ. فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِهَدْوَهُ وَصَدْقَهُ أَنَّ السَّلاحَ لَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ، بلْ سَيُتَرَكُ فِي الْوَادِيِّ خَارِجَهَا. فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى قَرِيشٍ مَطْمَئِنًا وَمُطْمَئِنًا، مُؤْكِدًا لَهُمْ مَا عُرِفَ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ صَدْقٍ وَأَمَانَةٍ.

بِهَذَا الْمَشْهُدِ الإِيمَانِيِّ الْعَظِيمِ، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ آمِنِينَ، يَلْهُجُونَ بِالْتَّلْبِيَّةِ «لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ»، بَيْنَمَا كَانَ زُعمَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ قَبْيَلَةِ قَرِيشٍ يَغَادِرُونَ امْتَشَالًا لِلاتفاقِ، وَيَنْصَبُونَ خِيَامَهُمْ فِي التَّلَالِ الْمَشْرُفَةِ عَلَى مَكَّةَ فَقَدْ آثَرُوا الْابْتِعَادَ عَنْ رُؤْيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْغَيْظِ وَالْمَسْرَةِ.

وما بقي من أهل مكة رجال ونساء وأطفال، توافدوا إلى الطرقات وعلى أسطح البيوت، يترقبون موكب رسول الله ﷺ وهو يدخل المدينة المكرمة بين أصحابه، يحملون مشاعر العزة والإيمان. دخل المسلمون ومعهم ستون ناقة أعدّت للنحر، ثم طافوا حول الكعبة، وأصواتهم تهتز بها جنبات المسجد الحرام، تُسبّح وتعظّم الله وحده.

دخل النبي مكة راكباً ناقته القصواء، التي كان قد ركبها يوم الحديبية، يتقدم الركب عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه وهو يقود الناقة. كان يوماً عظيماً ومجيداً، حيث طاف النبي ﷺ بالبيت مهلاً مكبراً، وأصوات المسلمين ترتفع بالتوحيد، في مشهد أذل أعداء الله وأبهج قلوب المؤمنين.

وسط هذه الأجواء، اشتد شوق المستضعفين من أهل مكة للحاق بالنبي ﷺ وأصحابه، بعدما رأوا كيف عزّ الله المسلمين في موكب الهدایة، بينما بقي من لم يُسلِّم من قريش في مواضع الذل والضياع.

ثم شرع رسول الله ﷺ والمسلمون في السعي بين الصفا والمروءة، إحياءً لقصة السيدة هاجر زوج النبي إبراهيم عليه السلام، في سعيها للماء لطفلها إسماعيل.

وبعد انتهاء السعي، أمر النبي ﷺ بنحر النوق وحلق الرؤوس، فأكمل معظم الحجيج عمرتهم، ثم استدعي الفرسان من خارج مكة ليؤدوا عمرتهم. وفي اليوم الرابع، جاءت قريش تطالب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يذكر رسول الله ﷺ بالخروج من مكة، وفاءً لاتفاق. فامثل النبي ﷺ رغم حزنه، وأمر المسلمين بالرحيل عن مكة الحبيبة. فتوجهوا إلى موضع يُدعى «سَيف»، ونزلوا فيه. وهناك تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث، أخت زوجة عمّه العباس رضي الله عنه، فأضفى على الرحلة طابعاً روحانياً جديداً.

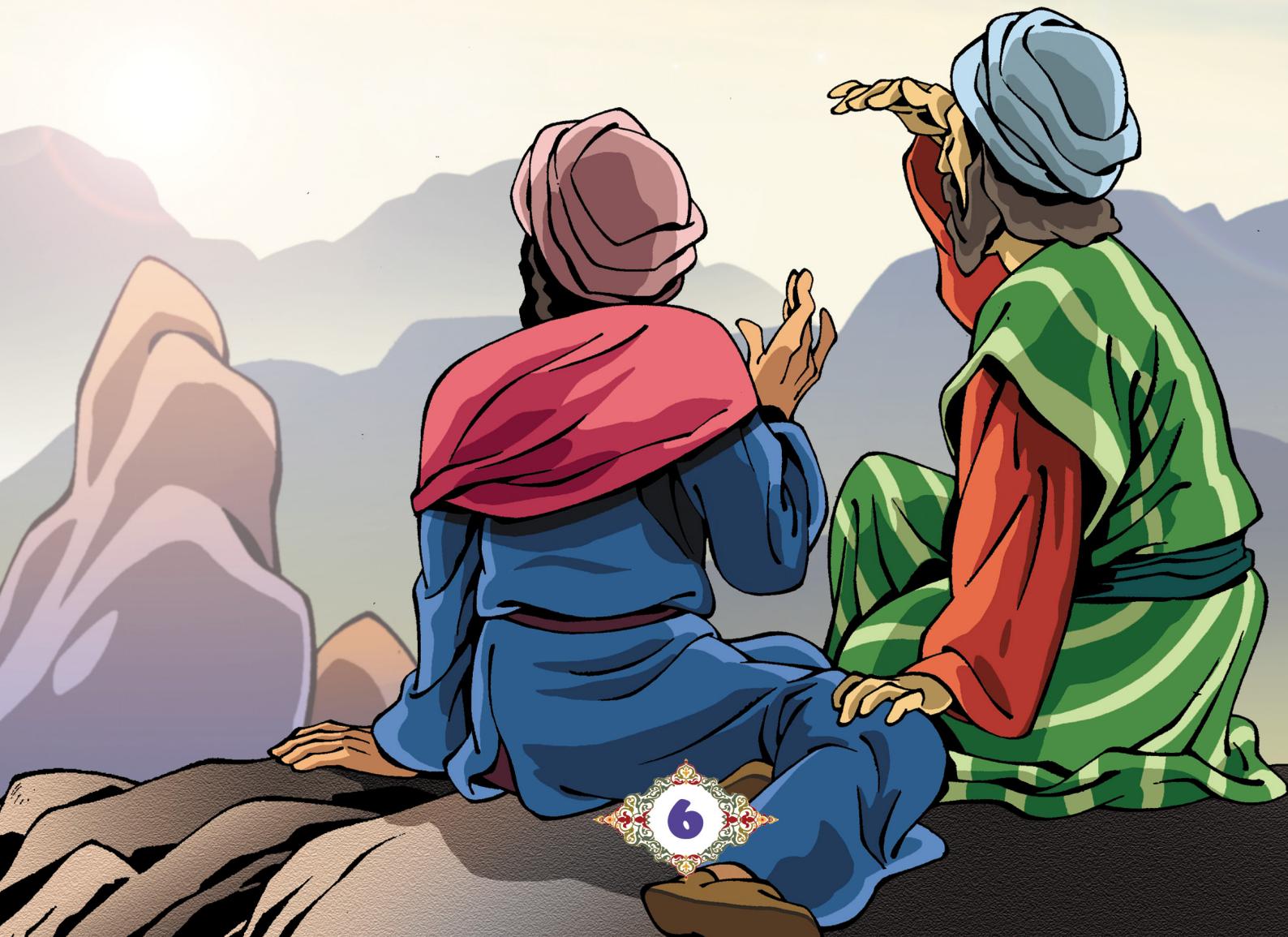


العمليات العسكرية بعد العُمرة: مواجهة الخيانة وثبت الدعوة

بعد أن أنهى المسلمون زيارتهم المباركة لكة المكرمة وأتمّوا عمرتهم، شرعوا في تنفيذ بعض العمليات العسكرية الهدف إلى تأديب القبائل العربية التي ما زالت تُعادي الدعوة.

فقد توجّهت مجموعة جريئة مكوّنة من خمسين رجلاً إلى قبيلة سليم، يدعونهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. لكنهم قوبلوا بالرفض والعداء، واندلعت المعركة، وأُصيب قائد المسلمين، بينما تمكّن المسلمون من أسر اثنين من التمرددين.

ثم أرسل رسول الله ﷺ مئتي رجل إلى فَدَك للتعامل مع التمرد هناك، إذ أظهرت القبيلة تمرداً على دعوة الإسلام، فسعى المسلمون إلى إعادة النظام والعدالة.



وفي حادث آخر، اجتمعت قبيلة قُضاعة بقوة كبيرة ونَوَّت الإغارة على المسلمين. فلما بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ خبر هذه الخيانة، أرسل مجموعة صغيرة تتكون من خمسة عشر رجلاً فقط، في مهمة دعوية لا عدوائية، تدعوهם إلى الإسلام وتجنب الفتنة. إلا أن رجال القبيلة، من جهالتهم واستكبارهم، أمطروا المسلمين بوابل من السهام، فاستشهد منهم أربعة عشر، وعاد واحدٌ فقط ليبلغ النَّبِيُّ ﷺ بما جرى.

غزوة مؤتة

في السنة الثامنة من الهجرة، وقعت حادثة جسمة هرّت مشاعر الأمة الإسلامية. حين أرسل رسول الله ﷺ الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه برسالة إلى حاكم بصرى. لكن في الطريق، أوقفه شرحبيل الغساني، صاحب البلقاء في الأردن، وقام بخيانته وقتلها ذبحًا. كان هذا الفعل المشين يُعد إعلانَ حربٍ صريحةً، إذ أن قتل رسول يُعتبر جريمة نكراء لا تُغفر.

ما إن بلغ النبي ﷺ خبر هذه الجريمة حتى اشتعل غضباً، وأمر بتجهيز جيش مكون من ثلاثة آلاف مجاهد للتحرك شمالاً تأديباً للغادرين. تولى القيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه حاملاً الراية البيضاء، فإن استشهد تولى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن استشهد تولى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

قبل التحرك، وجه النبي ﷺ وصاياه الأخلاقية للمجاهدين:

- لا يُقتل راهب أو امرأة أو طفل أو شيخ.
- لا تقطع الأشجار، ولا تُهدم البيوت، ولا يُنهب المال.
- وعند الوصول إلى الموقع، يدعون الناس إلى الإسلام، فإن قبلوا تركوا بسلام، وإن رفضوا قاتلوهم بعد إنذارٍ واضح.



وانطلق الجيش نحو معان على أطراف الشام، وهناك استقبلهم خبرٌ مروع: الروم البيزنطيون قد جهزوا جيشاً عدده مئتا ألف مقاتل! رغم الفارق المهول، لم يتراجع المسلمون، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه موقفاً مؤثراً حين قال: «والله، إن الأمر الذي تُفرّون منه، هو ما خرجتم تطلبونه أنه الشهادة. إنا لا نقاتل بعدِّ ولا بعْدَ، وإنما نقاتل بالإيمان الذي أكرمنا الله به. فاطلبوا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة».



فألهب الحماس قلوب المجاهدين، وواصلوا المسير إلى مؤتة، حيث بدأ القتال الشرس. رغم الفارق العددي الهائل، قاتل المسلمون بثبات وشجاعة، واستشهد القادة الثلاثة، واحداً تلو الآخر.

حينها تولى خالد بن الوليد رضي الله عنه القيادة، فخطط باذكى واسحب بالجيوش بأقل الخسائر. والمُعجزة أن عدد الشهداء لم يتجاوز اثنين عشر رجلاً من أصل ثلاثة آلاف، في مواجهة جيش يفوقهم بعشرات الأضعاف.

هذه الملحمة أرعبت الروم، وأثارت إعجاب القبائل العربية التي كانت تتردد في قبول الإسلام، فسارع الكثير منهم إلى الدخول في الدين الحق، متأثرين بقوة الإيمان لدى المسلمين لا بعده الجندي.



أما في المدينة، فقد أُخبر رسول الله ﷺ بكل ما جرى، وكان وقع استشهاد الأحبة: زيد، وجعفر، وعبد الله، رضوان الله عليهم ثقيلاً على قلبه الشريف، فبكى عليهم بحرقة. لكنه سرعان ما أمر بمهمة جديدة ضد القبائل المسيحية المتحالفة مع الروم، فأرسل عمرو بن العاص ومعه أبو بكر وعمرو رضي الله عنهم، فاستمرت الحملات بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه في ملاحقة المتمردين حتى أرهبتهم، واستعادت الأمة هيبتها، وأزيلت آثار الهزيمة الرمزية التي خلفتها مؤتة.

نقض قريش للصلح

بعد نحو عامين من الهدنة بين المسلمين وقريش، وقع الحدث الذي لم يكن في الحسبان. فقد دعمت قريش قبيلة بكر بالسلاح والرجال، فهاجموا قبيلة خزاعة - حلفاء المسلمين - وقتلوا منهم رجلاً داخل الحرم الشريف، حيث يُحرّم سفك الدماء.

ما إن بلغ الخبر رسول الله ﷺ، حتى أدرك أن قريش قد خرقوا صلح الحديبية صراحة، ونقضت ميثاقها. هبّ أفراد قبيلة خزاعة يستنصرون بالنبي ﷺ، فيما خيّم على قريش شعور بالندم الشديد والخوف من ردّة الفعل.

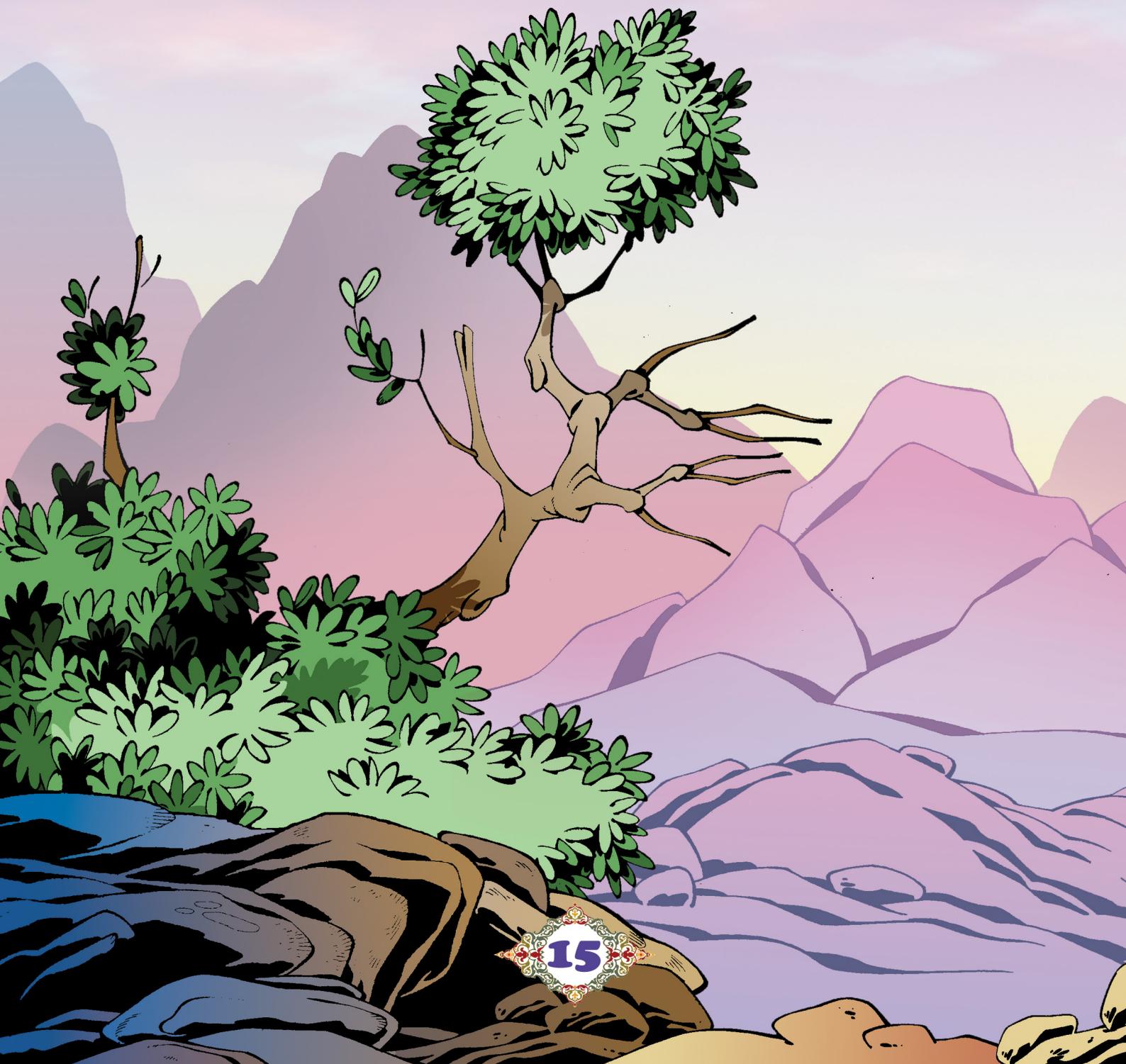


في محاولة يائسة لتدارك الأمر، قررت قريش إرسال أبو سفيان إلى المدينة المنورة لتجديد الصلح. فما كان منه إلا أن توجه إلى بيت ابنته أم حبيبة - إحدى زوجات النبي ﷺ - آملاً أن يكون اللقاء مليناً للأجواء.

فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - طوته دونه فقال: يا بنيّة، أرغبت بهذا الفراش عنِي أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنيّة لقد أصابك بعدي شر.

أصابه الرد بالإهانة، فتوجه لطلب لقاء النبي ﷺ، لكن النبي رفض رؤيته. لجأ إلى أبي بكر الصديق طالباً شفاعة، فقبول بالرفض. ثم إلى عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهمَا، فكان رد ماثلاً.

عاد أبو سفيان إلى مكة خائباً، تحمل في قلبه ثقل الخوف، وفي عينيه ظلّ الفشل.
نقل لقريش ما لقيه من صدّ وهوان، فخيم الرعب على وجوههم، وأدركوا أنهم
قد تجاوزوا الحدود. ماضيهم مع المسلمين كان مليئاً بالإيذاء،وها هم الآن قد
نقضوا العهد في الحرم ذاته... كيف سيكون الرد؟
وما لبثت شمس الصحراء أن غابت خلف الأفق المتوجج، في ذلك اليوم خيم على
قريش يقين واحد:
الفتح قادم...



وَتَعَالَى
سُبْحَانَهُمْ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ
عَبْدَهُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

في السنة السابعة للهجرة، وبعد فتح خيبر، أمر رسول الله ﷺ المؤمنين بالدخول إلى مكة المكرمة بسلام وأمان، في أداء لعمرتهم المؤجلة، تنفيذاً لبند صلح الحديبية. ومكث المسلمون ثلاثة أيام في الحرم، ثم طالبهم قريش بالمعادرة، التزاماً بما تم الاتفاق عليه. فأمر النبي ﷺ أصحابه بالخروج، وانتقلوا إلى قرية صغيرة على أطراف مكة، وهناك تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث، أخت زوجة عمه العباس رضي الله عنه، فأضفى على الرحلة طابعاً روحانياً جديداً. وسط هذا الصفاء الروحي، لم تغب عن المدينة رياح الخيانة، فقد أرسل النبي ﷺ رسولاً إلى حاكم بصرى بالشام، لكن اعترضه شرحبيل الغساني حاكم البلقاء، فقيده وأقدم على قتله غدراً. كان ذلك بمنزلة إعلان حرب، فجريمة قتل رسول لا تُغتفر.

فهبّ النبي ﷺ على الفور، وأمر بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، للتصدي للغدر. وانطلق الجيش شمالاً، وهناك واجه قوة ضخمة من الروم البيزنطيين قوامها مئتا ألف جندي. رغم الفارق العددي الهائل، قاتل المسلمين بشجاعة منقطعة النظير، واستشهد منهم اثنا عشر مجاهداً فقط، في ملحمة أعجزت الأعداء وأرعبت المتخاذلين.

لكن الأمور لم تهدأ، وبعد هذه المعركة، أقدمت قريش على خرق صلح الحديبية، واضعة بذلك حدّاً نهائياً لعهد السلم، ومبهدة الطريق لفتح مكة المهيّب.

